الفصل السادس

السيرة النبوية

* نسب النبى صلى الله عليه وسلم.
* نشأته.
* زواجه.
* بعثته.
* معارضة المشركين له.
* هجرته.

«سيرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم»

نسبه:

نشأ رسول الله عليه وسلم من أبوين كريمين هما: عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.. والسيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وهما من قبيلة قريش التى هى أشرف قبائل العرب نسباً؛ لأنها كانت تقوم بالإشراف على البيت لذى بناه إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ فى مكة المكرمة.

وكان أبوه «عبد الله» رجلاً كريم الأخلاق، حسن الصفات، مات فى شبابه فى أثناء عودته من رحلة تجارته فى الشام، وذلك قبل أن يُولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

نشأته:

أتمت السيدة «آمنة» مدة الحمل، لم تَشْكُ فيها ألماً، ولم تحس تعبا، كما يحدث للنساء فى فترات الحمل.. وفى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول وضعت السيدة آمنة مولودها، فرأته هى ومن معها من النساء طفلاً جميلاً مشرق الوجه، لم يُشاهِدْنَ مثله من قبل.

وسار البشير إلى جده «عبد المطلب» يبلغه هذه البشرى السعيدة.. فقام مسروراً بالإشراف على تربيته، وكان يحبه حبًا شديداً، ويُسَرُّ برؤيته فيقربه إليه، ويجلسه بجواره على فراشه.

وفى السنة السادسة من عمره ماتت أمه السيدة «آمنة».. فصار «محمد» يتيم الأبوين، فازداد عطف جده عليه.. ولكن لم يعش جده طويلا بعد وفاة أمه، فقد مات بعدها بسنتين،

فحزن الرسول «محمد» لموته كثيراً، وبكاه، وكان يتذكره دائما، ويتذكرحنانه وعطفه عليه.

لقد ماتت أمه وهو فى السادسة من عمره ومات جده وهو فى الثامنة من عمره.. فقام بتربيته عمه «أبو طالب»، وأشركه معه فى التجارة، وسافر معه إلى الشام وهو فى الثانية عشرة من عمره.

كما اشتغل الرسول صلى الله عليه وسلم برعى الأغنام فى صباه... ولما كبر عاود الاشتغال بالتجارة، وظل يشتغل بها حتى بعثه الله تعالى رسولا.

وقد عرف الناس فيه كل صفة كريمة، كالصدق والأمانة، والبعد عن الفسق والكذب، فاحترموه وأحبوه، وسموه الصادق الأمين.. يضعون عنده أموالهم وأماناتهم ثقة بأمانته.

زواجه بالسيدة خديجة:

وقد وصلت شهرته فى الأمانة والصدق إلى سيدة عظيمة شريفة الأصل تسمى خديجة، وكانت غنية ذات مال كثير، وكانت لشرفها وغناها يطلبها كثير من عظماء قريش وأغنيائها للزواج بها فتمتنع.

وكانت لهذه السيدة تجارة كبيرة، فعرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوم بتجارتها ويقتسم معها الربح، فقبل.. وسافر مع عبدها «ميسرة» إلى الشام، فباع واشترى، وعاد وقد ربحت تجارته ربحاً كثيراً.

ورأى «ميسرة» من كريم صفات الرسول ما أدهشه، فقص على سيدته ما رأى، فعرضت عليه أن يتزوجها، فوافق وتم الزواج وكان هذا الزواج قبل البعثة، وكانت سن الرسول خمساً وعشرين سنة، فى حين كانت سنها أربعين سنة.

بعثته:

كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر من الخروج إلى غار يسمى «غار حراء» بجبل قريب من مكة، يقضى فيه الأيام والليالى يعبد الله سبحانه وتعالى فى هدوء وطمأنينة نفس.

وبينما هو فى الغار جاءه «جبريل عليه السلام» قائلا له: «اقرأ» .

فأجابه محمد: «ما أنا بقارىء».. فضمه «جبريل» إلى صدره وهو يقول له: «اقرأ».

فعاد يقول له: «ما أنا بقارىء».. [أى أنا أُمِّيٌّ لا أعرف القراءة ولا الكتابة].

فضمه مرة أخرى إليه وهو يقول له: «أقرأ»... فدهش سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال: «ماذا أقرأ»؟ فقال جبريل: (اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم)[1]..... فقرأها وانصرف «جبريل».

وهذا أول ما نزل من القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد أن انصرف «جبريل» تلفت الرسول يميناً ويساراً فى الغار فلم يجد أحداً، فخرج من الغار وصار يجرى فى طرق الصحراء حتى وصل إلى مكة، وروى الخبر لزوجته السيدة خديجة.

فقالت له: «أبشر يا محمد، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة».

وتكرر بعد ذلك مجىء «جبريل عليه السلام» إليه؛ ليعلمه آيات من القرآن الكريم، ثم يبلغه أمر ربه بإرساله نبيا ورسولا إلى الناس كافة؛ ليهديهم إلي طريق الإيمان والخير... طريق الإسلام.

وكان أول من آمن به من النساء زوجته السيدة «خديجة» رضى الله عنها .... وأول من آمن به من الصبيان ابن عمه «على بن أبى طالب كرم الله وجهه».... وكان أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه أول من أسلم من الرجال.. ثم تتابع دخول بعض أهل مكة من العقلاء المؤمنين فى دين الله.

معارضة المشركين له:

ولما بلغ أهل مكة دعوة الرسول أخذوا يتحدثون بها، فيقول بعضهم: كيف نصدق محمداً ونترك عبادة الأصنام التى كان يعبدها آباؤنا وأجدادنا!

ويقول آخرون: كيف نتبع رجلاً فقيراً، ونحن سادة أغنياء؟!

---

(١) سورة العلق: الآيات من ١ ـ ٥.

واشتدت معارضة قريش للنبى صلى الله عليه وسلم عندما طلب من الناس ترك عبادة الأصنام التى يؤمنون بها. واتحدت كلمة زعمائها على الوقوف ضد دعوته، حتى لا يضيع نفوذهم، ويذهب سلطانهم، فأخذوا يسبونه ويلحقون الأذى به..

ولم يكتف المشركون بإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم، بل أخذوا يؤذون كل مَنْ أسلم، فأخذوا يعذبون الضعفاء من أصحابه، مرة بالضرب الشديد، ومرة بإلقائهم على رمال مكة الحارة فى وقت الظهيرة، ويضعون الحجارة الثقيلة علي صدورهم، ومن هؤلاء بلال، وعمار بن ياسر، وغيرهما.

بل عُذِّبَ كثير من الرجال والنساء المسلمين حتى ماتوا... فلقد كان المسلمون يضربون ويهانون، ولكن صبروا وثبتوا على إيمانهم بدينهم الجديد.. الإسلام.

واستمر المشركون فى إيذائهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه... وصبر الرسول والمسلمون على هذا الإيذاء مدة طويلة، فعرف المشركون أن إيذاءهم مع شدته لا ينفع فى إرجاع محمد عن دينه الجديد، ففكروا فى حيلة تخلصهم منه.. فماذا فعلوا؟

لقد اجتمعوا وتشاوروا فى الأمر حتى اتفقوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختاروا القتلة شبابا قويًا من كل قبيلة؛ ليتفرق دمه فى القبائل، فلا تستطيع أسرته الأخذ بثأره أو مقاتلة القبائل كلها.

وذهب هؤلاء الشبان ـ فى إحدى الليالى المظلمة إلى بيت النبى صلى اله عليه وسلم لقتله، ولكن الله أخبر رسوله بأمرهم الغادر.. فخرج من بيته، وقد أعمى الله أبصارهم، فلم يشعروا به.. وذهب إلى بيت صديقه أبى بكر وأخبره أن الله قد أذن له فى الهجرة، وأنه سيكون رفيقه فى السفر، فَسُرَّ أبو بكر بهذا الخبر.

الهجرة:

وسار النبى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبى بكر حتى وصلا إلى غار قريب من مكة يسمى «غار ثور».. واختفيا فيه ثلاثة أيام، وكان المشركون فى أثنائها يبحثون عنهما فى كل مكان، وقد جعلوا جائزة كبيرة لمن يأتى بالنبى حيًا أو ميتاً، وظل الكفار يبحثون عنه فى كل مكان، حتى وصلوا إلي مدخل هذا الغار، ولكن الله طمس على أعينهم فلم يروا من

بداخله، كل ذلك وأبو بكر خائف من أن يصاب النبى بضرر منهم، إلا أن النبى أخذ يهدئ من روع أبى بكر قائلا له: «لاتخف إن الله معنا».

ومن العجيب أن الكفار قد وقفوا أمام الغار ولم يدخلوه، مع أنهم دخلوا كل غار صادفهم فى طريقهم، فقد ظنوا أن الغار لم يدخله أحد من زمن طويل، فرجع الكفار خائبين متحيرين.

ولما هدأت حركة البحث عن النبى وصاحبه بعد ثلاثة أيام حضر إليهما دليل كانا قد استأجراه من قبل، ومعه جملان، فركب النبى وصاحبه، وسار الثلاثة إلي المدينة.

ومازال الرسول وصاحبه سائرين حتي وصلا إلى مكان بالقرب من المدينة اسمه «قُباء».. ولحق بهما سيدنا «على بن أبى طالب» الذى كان قد تأخر فى مكة لينام مكان الرسول؛ ليوهم الكفار بأنه هو.. وليردّ الأمانات التى عند الرسول إلى أصحابها.

وفى هذا المكان أقام الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة أيام أسس فيها مسجد قباء... وهو أول مسجد بُنى فى الإسلام.. وفى هذه المدة أحس أهل المدينة بالرسول مقبلا إليهم، فخرجوا جماعات وأفراداً فَرِحين مستبشرين لاستقبال الرسول ومن معه، وهم يتغنون بهذا النشيد:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحباً ياخير داع

وبعد أن مضت هذه الأيام الأربعة ركب رسول الله ناقته، وسار بها إلى المدينة وحوله الأنصار، وكان كلما مر على قبيلة من قبائلهم أمسك رئيسها بزمام ناقته، وعرض عليه أن ينزل عنده فى داره؛ ليكون له شرف ضيافة رسول الله.... فكان يقول لهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» إلى أن وصلت إلى دار بنى مالك من بنى النجار، فبركت أمامها، ونزل عنها رسول الله قائلا: «ها هنا المنزل إن شاء الله».... وفى هذا المكان بنى مسجده ومنزله.

وهكذا وجد النبى صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة قبولاً لدعوته، ونصراً لدين الله بعد أن بدأ يدعو الناس للإيمان برسالته التى أنزلها الله عليه.. دين الإسلام.

وهاجر كثير من المسلمين من مكة إلي المدينة، وقد تركوا أموالهم ومتاعهم فى مكة، فصاروا فقراء، ولكن إخوانهم الأغنياء من أهل المدينة اقتسموا معهم أموالهم إكراماً لهم، وحفاوة بهم بعد أن استضافوهم فى منازلهم.. فعاشوا معاً إخواناً سعداء، وبفضل هذه المحبة وكرم الضيافة انتشر الدين الإسلامى.

وما زال نور هذا الدين ينتشر شيئاً فشيئاً حتى دخلت الجزيرة العربية كلها فى الأسلام فى حياته صلى الله عليه وسلم.

* * *